تحت الرعاية السامية لمعالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي

SOUS LE HAUT PATRONAGE DE MONSIEUR, LE MINISTRE DE L' ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

الجـامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية - أدرار

L'UNIVERSITE COLONEl AHMED DRAYA-ADRAR

تنظـــــــم

ORGANISE

الملتقى الدولي الحادي عشر

Onziéme Colloque International

التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة

Le Soufisme en Islam et Les défis contemporains

أيام: ٩-١٠-١١ نوفمبر ٢٠٠٨

المحور الثاني:

نشأة التصوف وأعلامه

التصوف في حياة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي

أ. بلاعدة العمري
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص:

الناظر في التراث الصوفي العربي القديم والحديث يجده حافلا بأعلامه الذين أولوا اهتماما بالغا بالتصوف علما وعملا، معرفة وسلوكا، باعتبار أن التصوف واقعا ماثلا في حياة الناس، وهدفا للتغيير والإصلاح.

ومن أعلام التصوف المعاصرين الذين لم يعرفوا كثيرا خاصة في المغرب العربي الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، فأردت أن أسلط الضوء على جانب من جوانب هذه الشخصية المغمورة ألا وهو جانب التصوف في حياة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، خاصة وأنه عاش في فترة عصيبة مرّت بها الأمة الإسلامية تمكنت فيها القوى المعادية للإسلام من إسقاط الخلافة، ومن فرض تحول قسري نحو العلمانية، ونحو التبعية المطلقة للغرب.

وقبل الحديث عن هذا الموضوع لا بد من تقديم ترجمة موجزة لهذا العلم الصوفي المعاصر، ثم الحديث عن مكانة التصوف في عصره.

Summary:

Al Arabi Sufi heritage in ancient and modern finds studded informing Ulloa, who was extremely interested in Sufism note and deed, knowledge and behaviour, as mysticism and reality in the lives of real people, and the object of change and reform.

It is informing contemporary mysticism who did not know much especially in the Maghreb professor Bediuzzaman Said gull, I wanted to highlight the aspect of this character that is submerged by the mysticism in the life of Professor Bediuzzaman Said gull, especially as he lived in a difficult period experienced by the nation Managed by the Islamic forces opposed to Islam rout of succession, and the imposition of forced shift towards secularism, and some absolute subordination to the West.

Before talking about this subject must submit a brief interpretation of this mystic contemporary science, and then talk about the place of mysticism in his day.

مقدمة:

يعتبر بديع الزمان سعيد النورسي أحد العلماء المعاصرين الذين عاشوا في أواخر عمر الدولة العثمانية، حيث عاصر تكالب الأعداء للقضاء على هذه الدولة.

ولد سعيد النورسي سنة 1293هـ / 1876م في قرية نورس الواقعة في جنوب شرقي تركيا الحالية، من أبوين اشتهرا في القرية بورعهما المثالين.

إلتحق بالكتاتيب والمرافق التعليمية الموجودة بالقرية يدرس ويتعلم، حيث كان يستوعب كل ما يتلقاه من علم.

ثم بعد ذلك اعتمد في التحصيل العلمي على نفسه بعد أن اكتسب مفاتيحه، وأضحى يتلقى العلم بجهده ويلتهم ما في بطون الكتب المتوفرة لديه من تفسير وحديث وفقه ونحو وعلم كلام ومنطق وغيره.

امتاز بالذكاء وقوة الحافظة حتى يروى أنه حفظ ما يقرب من تسعين كتابا من أمهات الكتب.

تهيأ له بفضل تحصيله العلمي أن يجلس لمناقشة العلماء ومناظرتهم حتى سمع به الداني والقاصي.

وفي سنة 1314هـ/1897م سافر إلى مدينة ''وان'' وانكب على دراسة كتب الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ، وتعمّق فيها إلى درجة أن ألّف في بعضها فسمي من ذلك الوقت ببديع الزمان اعترافا من أهل العلم بذكائه وعلمه واطلاعه الواسع.

وفي سنة 1325هـ/1907م سافر إلى استانبول وقدّم مشروعا إلى السلطان عبد الحميد الثاني لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول أطلق عليها اسم ''مدرسة الزهراء'' تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام، وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية الحديثة.

وفي سنة 1329هـ/1911م سافر إلى بلاد الشام والتقى بعلمائها، وألقى خطبة بليغة بالجامع الأموي دعا فيها المسلمين إلى اليقظة والنهوض، كما بيّن فيها أمراض الأمة وسبل علاجها.

وبعد دخول الغزاة المعتدين إلى استانبول، لم ينجوا من شرارة الفتن والاضطرابات، حيث نفي إلى عدّة أماكن، ولكن الله عز وجل أكرمه، حيث ألّف معظم ''رسائل النور'' في منفاه، وقد انتشرت عن طريق الاستنساخ اليدوي بين أوساط الملمسين والشباب خاصة.

وظل الأستاذ سعيد النورسي عاكفا على تأليف رسائل النور حتى سنة 1950م. في أكثر من مائة وخمسين رسالة جُمعت تحت عنوان ''كليات رسائل النور'' التي تضم أربع مجموعات أساسية هي: الكلمات . المكتوبات . اللمعات . الشعاعات...

التحق الأستاذ النورسي بالرفيق الأعلى في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة 1379هـ الموافق لـ 23 مارس 1960م.(1)

مكانة التصوف في عصره

عاصر الأستاذ النورسي الدولة العثمانية، حيث كانت علاقة التصوف بالدولة علاقة وطيدة وقديمة؛ لأن الدولة نشأت في أجواء مشبعة بالنزعة التصوفية(2) وتطورت هذه العلاقة مع اتساع رقعة الدولة التي أصبح سلاطينها في خدمة مبادئ الصوفية.

وقد اكتسب مشايخ الصوفية مكانة اجتماعية مرموقة ونفوذا سياسيا فعّالا حتى غدت الدولة تتوسل إلى الشيخ طالبة منه يد المساعدة في إخماد فتنة أو القضاء على معارضة.

وأكثر من ذلك فقد قامت الدولة بتشكيل فيالق عسكرية تضم أتباع عدد من الطرق الصوفية، حيث شاركت هذه الفيالق في الحرب العالمية الأولى، وحرب الاستقلال مشاركة فعّالة.

ولكن الشيء الملاحظ أن الطرق الصوفية في الدولة العثمانية ليست كلها في اتجاه واحد، حيث منها الطرق المغالية والمنحرفة التي حصرت الإسلام في ممارسات محددة وألفاظ خاصة وتعابير لا يفهمها كثير من الناس، فابتعدت بذلك عن روح الإسلام ونهجه.

ومن ثمة فقد نما التصوف في الدولة العثمانية حتى أضحى دافعا اجتماعيا لا يمكن إنكاره، لذا عمدت الدولة إلى التعامل معه بكل حرص وعناية، خاصة وأن موقفها إزاء هذه الطرف كان يحدده أصحاب الطرق أنفسهم، فإن هم أيّدوا السلطة في سياستها الداخلية والخارجية وجدوا كل الدعم والمساندة والرضا. أما إذا اختلفت المواقف فإن القمع والمصادرة هما السياسة المتبعة ضد هذه الطرق.

وخلاصة القول أن تأثير الطرق الصوفية في الجانب الاجتماعي والسياسي كان واضحا منذ ولادة الدولة العثمانية، وقد تطور هذا التأثير بمشاركة أصحاب الطرق في تقوية شوكة الدولة وتوسيع رقعتها، لكن تسرب الخرافة والانحرافات العقدية إلى بعض هذه الطرق أدّى إلى انحسار دورها ولا سيّما مع ضعف الدولة العثمانية وإشرافها على السقوط.

وقد أسهمت قوانين إلغاء الطرق الصوفية – في عهد الجمهورية– في تقليص دورها، بل تهميشه أحيانا، لكن هذا لم يمنع من قيام بعضها في وجه أتاتورك ومقاومة نُظمه المعادية للدين الإسلامي.

التصوف عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي

السبب الذي دعاني إلى الكتابة في هذا الموضوع هو أن الأستاذ سعيد النورسي صرّح أكثر من مرة وفي مواضع مختلفة من رسائله بأنه ليس صوفيا، بل ينفي نفيا قاطعا كونه شيخ طريقة، حيث يقول: ''أنا لستُ شيخ طريقة صوفية، وإنما أنا عالم دين...إن الزمان ليس زمن طريقة''(3). ويقول أيضا: ''إن هذا الزمان زمان إنقاذ الإيمان''(4).

فهل حقا أن الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي ليس صوفيا؟

الناظر في تفاصيل حياة الأستاذ النورسي والمتفحص لمؤلفاته ورسائله يجد أن الأمر بخلاف هذا، حيث نجد مسحة صوفية لشخصيته، وهو يؤكد هذه المسحة عن طريق كتابة الرسائل أولا، حيث مزج

فيها بين القلب والعقل، ثم بما يستعمله من رموز وإشارات ومصطلحات لا نكاد نراها إلا لدى أهل التصوف(5).

ومن جهة أخرى فإن كل ما يخاطب به تلامذته من فنون النصح والتربية والإرشاد لا يخرج عن التصوف.

وقد يحمل كلامه ''بأنه ليس صوفيا'' القصد منه هو نفي معنى الانقطاع للمنهج الصوفي الذي يصبح صاحبه مستغرقا فيه.

ولقد كانت هناك ثلاثة عوامل أساسية شاركت في تكوين هذه المسحة الصوفية لدى الأستاذ النورسي، وهي: البناء النفسي للنورسي، والمحيط العائلي، والبيئة الاجتماعية.

فقد كان الأستاذ النورسي يجلس الساعات الطويلة يأخذ نفسه فيها بالأذكار المأثورة والأوراد التي تنسب إلى كبار الأولياء والمرشدين. كما كان يخلو بنفسه إلى أعالي الجبال يحاسب نفسه، ويراقب ربّه، ويتأمل في خلقه.

إضافة إلى أن شخصيته تأثرت كثيرا بالمحيط العائلي، حيث كان والداه على قدر كبير من الزهد والورع، وكان الأخ الأكبر منتسبا إلى إحدى الطرق الصوفية(6).

كما كان للبيئة الاجتماعية الأثر الواضح في تكوين شخصيته الصوفية، حيث كان الانتساب فيها إلى إحدى الطرق الصوفية هو الأمر المألوف.

ومن ثمة يمكن الجزم بتصوف الأستاذ النورسي، بل قد أقرّ هو نفسه بأنه ارتقى إلى رتبة تلميذ القرآن(7)، ويحمد الله تعالى على توفيقه إلى الجمع بين الطريقة والحقيقة بفيض القرآن وإرشاده(8)، ويكشف النقاب عن أعلام التصوف الذين وصلوا إلى رتبة التلمذة على القرآن بقوله:''فانظر إلى تلاميذ التنزيل من الأولياء أمثال الكيلاني والرفاعي والشاذلي''(9).

منهجه الصوفي

إن الأستاذ سعيد النورسي من أعلام التصوف كما سلف القول، حيث كان منهجه كمنهج كبار الأولياء والمرشدين الذين هم على سنن الرعيل الأول من المسلمين، حيث كان منهجه قائما على المنهج القرآني، وقد صرّح مبيّنا ذلك بقوله:''إن أصول العروج إلى عرش الكمالات – وهو معرفة الله جلّ جلاله – أربعة:

أولها: منهاج علماء الصوفية المؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي.

ثانيها: طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان.

ثالثها: مسلك الفلاسفة. ثم يقول:''هذه الثلاثة ليت مصونة من الشبهات والأوهام!

رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبني الإنسان، ونحن قد اخترنا هذا الطريق''(10).

وتصوف الأستاذ النورسي يمكن تقسيمه إلى قسمين: تصوفه في الحقائق، وتصوفه في الطرائق؛ وذلك باعتبار أن أركان الدين ثلاثة، وهي الإسلام والإيمان والإحسان كما جاء في حديث جبريل الطويل. فالإسلام والإيمان كالوسائل والطرائق بالنسبة إلى الإحسان، كون التصوف في غاياته إحسانيا، وفي طرائقه إسلاميا إيمانيا.

أولا: تصوف الأستاذ النورسي في حقائقه.

يعتبر الأستاذ النورسي من المتحققين الذين سلكوا بقلوبهم وأرواحهم بعدما تبيّنوا بعقولهم، وساروا إلى ربهم بكل ما آتاهم من فضل وفتح.

وقد كان الأستاذ النورسي فهمه دقيق للحقيقة الصوفية حيث يقول:''توجد تحت أسماء التصوف والطريقة والولاية والسير حقيقة حلوة نورانية منشطة قدسية روحانية، حتى إن محققي أهل الذوق والكشف قد ألفوا ألاف الأسفار في إيضاح وإعلان وتدريس تلك الحقيقة القدسية، وبيّنوها لنا وللأمة جزاهم الله عن الجميع خير الجزاء...''.

1 . حقيقة معرفة الله تعالى

كما سبق القول فإن معرفة الله تعالى عند النورسي قائمة على المنهج القرآني.

أ . أداة هذه المعرفة:

إن أداة المعرفة عند الأستاذ النورسي هي الروح والقلب معا، وحين استرشد بالقرآن الكريم سلك إلى حقائقه بروحه وقلبه،حيث قال معبرا عن سيره:''فشرع بإرشاد من ذلك الأستاذ القدسي بالسلوك بروحه وقلبه''(11). وبيّن أنه ما كتب مثنويه إلا ليكون معبّرا عن ذوقه وشهوده فقال:''ما كتبتُ إلا ما شاهدتُ''(12)، لأن ذلك المثنوي العربي ''هو نوع تفسير شهوديّ لبعض الآيات القرآنية''(13). وقال أيضا:''والقلب مرآة الأحد الصمد، لكن له شعور إحساس بما تجلى فيه، وعلاقة مفتونية بما تمثل فيه، خلافا لسائر الملايا''(14).

وبهذا يتضح أن أداة المعرفة عند الأستاذ النورسي هي الروح والقلب معا، أما العقل فإنه يصلح أن يكون مبتدأ الطريق، ثملا بدّ له من الخضوع لسلطان الروح.

ب . مراتب هذه المعرفة:

مراتب معرفة الله تعالى الذوقية هي التوحيد الحضوري الشهودي، والأستاذ النورسي يقرر في رسائله أن التوحيد توحيدان:

. توحيد عامي يمكن تداخل الضلالات في أفكار صاحبه.

. توحيد حقيقي. يقول الأستاذ النورسي:''هو الله وحده له الملك، وله الكون له كل شيء...يثبته إثباتا حضوريا، ولا يمكن تداخل الضلالة والأوهام في هذا التوحيد''(15). فإذا تحقق بهذا التوحيد

الشهودي انحصر نظره في وجود ''واجب الوجود'' ورأى الموجودات كلها ضلالا لا تستحق صفة الوجود عليها حيال ''واجب الوجود'' وتضاءلت في نظره الممكنات المخلوقات. ولا يكون هذا إلا لأخص الخواص عند حالات الاستغراق المطلق، وللمتجردين من الأسباب المادية ومن الذين قد قطعوا صلاتهم بما سوى الله من الممكنات والأشياء(16).

وقد بيّن الأستاذ النورسي الفرق بين الأولياء والفلاسفة في الكلام على هذه الحقائق كما يلي(17):

. الأولياء الصوفية توجهوا إلى الله تعالى وحده بكليتهم فلم تعد أسرارهم ترى في الوجود إلا هو. أما الفلاسفة فقد توجهوا بكليتهم إلى المادة وصرفوا كل تفكيرهم فيها وصاروا لا يرون غيرها فغابوا عن الألوهية، ثم ازدادوا جهالة حين توهموا امتزاج الألوهية بتلك المادة.

. الأولياء الصوفية لم تشاهد أرواحهم إلا الحق، أما الماديون فإن بواطنهم العالقة في المادة لم تر إلا وحدة المادة الموجودة.

. مسلك الأولياء الصوفية مسلك ذوقي بينما مسلك الفلاسفة الماديين عقلي.

. نظر الأولياء الصوفية إلى المخلوقات تابع لمعرفة بالله تعالى، وفرع ثانوي عنها، أما الماديون فإن نظرهم إلى المخلوقات أصل، وقد حصروا فيها ذلك النظر.

. الأولياء الصوفية يعبدون الله تعالى ويستغرقون في محبته، والماديون يعبدون أنفسهم وهواهم.

ج . التعبير عن هذه المعرفة:

يقرُّ الأستاذ النورسي بأنه قد جرى عليه ما جرى على كُمّل الصوفية الذين هجمت عليهم الواردات المعبرة عن الحقائق من غير إرادة منهم فيقول:''وكذا لا تظنن أنّي باختياري أشكلت عليك عبارة هذه الرسالة، إذ هذه الرسالة مكالمات فُجائية مع نفسي في وقت مدهش''(18). وقد صرح بثل هذا كبار المتصوفة.

وقد كان الأستاذ النورسي حينما يعبر عن حقيقة من الحقائق التي يشهدها بالرمز أو الإشارة، فمن كان من الراسخين في المعرفة يدرك إشارة رمزه، ومن لم يكن أهلا لذلك فالرمز يكفيه مؤونة سوء فهم الجاهل. يقول النورسي:''وكثيرا ما أضع كلمة على ما لا يمكن لي التعبير عنه، للإخطار والتذكير لا للدلالة''(19). وهو بهذا يشير إلى ترقياته الفكرية وفيوضاته القلبية بأدق العبارات وأقصر الجمل التي لا يفهمها إلا هو، لذا فقد لا يدرك قسما منها . إلا بعد جهد جهيد . إلا الراسخون في العلم''(20).

2 . حقيقة معرفة محمد رسول الله

يرى الأستاذ النورسي نور النبي صلى الله عليه وسلم غامرا للكون، ويرى خلق الأفلاك من أجل محمد صلى الله عليه وسلم، وهو لا يكتفي بالنظر إلى مسجده صلى الله عليه وسلم الكبير الذي مساحته

الأرض ومحرابه مكة ومنبره المدينة(21). بل يراه في كل تسبيحة سبّحها الكون فكانت بلسان محمدها(22).

ويرى الأستاذ النورسي أننا حين لا نستضيء بنور رسول الله صلى الله عليه وسلم''نرى في الكائنات مأتما عموميّا... ونرى جامداتها جنائز دهاشة... ونرى الإنسان قد صار بعجزه...أدنى وأخسر من جميع الحيوانات''(23). ويقول:''فانظر الآن بنوره، وبمرصاد دينه، وفي دائرة شريعته، إلى الكائنات كيف تراها؟ انظر! قد تبدل شكل العالم فتحوّل بيت المأتم العموميّ مسجد الذكر والفكر ومجلس الجذبة والشكر...وتحول الأعداء الأجانب من الموجودات أحبابا وإخوانا...وتحول ذوو الحياة منها، الأيتام الباكون المشتكون، ذاكرين في تسبيحاتهم''(24).

3 . حقيقة معرفة الكائنات

يرى الأستاذ النورسي أن العارفين وحدهم يشهدون حسن الكائنات، لأنها مرايا أسماء الأزل، فيقول:''أكثر الغافلين لا يدرك حسن الحادثات''(25). ويتحدث عن الجمال الحزين في خد الكائنات المنعكس المرمز إلى وجوب وجود ذي الجمال المجرد(26).

4 . حقيقة معرفة الإنسان

معرفة الإنسان هي آخر المعارف في منازل التدلي. والأستاذ النورسي يرى أن الإنسان في تكوينه مزوّد بوجهين: وجه ناظر إلى الحق سبحانه له قيمة عالية غالية، ووجه ناظر إلى الخلق لا قيمة له لفنائه وزواله(27). ويرى أن الإنسان ثمرة في شجرة الكون، حيث يقول:''الإنسان لكونه أجمع وأبدع المصنوعات فهو الثمرة الشعورية لشجرة الخِلقة''(28).

5 . مانع المعرفة

بيّن الأستاذ النورسي أن مانع المعرفة هو وجود النفس، حيث قال:''أي واه'' وأسفاه! إن وجود النفس عمى في عينها، بل عينُ عميها، ولو بقي من الوجود مقدار جناح الذباب يصير حجابا يمنع رؤيتها شمسَ الحقيقة، فقد شاهدتُ أن النفس بسبب الوجود ترى على صخرة صغيرة في قلعة عظيمة مرصوصة، من البراهين القاطعة ضعفا ورخاوة فتنكر وجود القلعة بتمامها... وجهلها ناشئ من رؤيتها لوجودها''(29).

ثانيا: تصوف الأستاذ النورسي في طرائقه

يعرّف الأستاذ النورسي الطريقة بأنها معرفة الحقائق الإيمانية وتذوقها بالحال والشهود الذي يسمو بصاحبه إلى درجة الكمال البشري. ثم يبين هدف الطريقة وغايتها فيقول الأستاذ النورسي:''إن غاية الطريقة وهدفها هو معرفة الحقائق الإيمانية والقرآنية، ونيلها عبر السير والسلوك الروحي في ظل المعراج الأحمدي وتحت رايته، بخطوات القلب وصولا إلى حالة وجدانية وذوقية بما يشبه الشهود، فالطريقة والتصوف سرّ إنساني رفيع، وكمال بشري سام''(30).

وقد سلك الأستاذ النورسي طريق الحقيقة الشرعية المسندة إلى المنهج القرآني. وكان معجبا بالإمام الغزالي وأمثاله، بيد أنه يرى أن ظروف عصره تجعل التصوف عاجزا عن الوقوف أمام التيار المشكك في الإسلام؛ لأنه يعتمد على التجربة الذاتية في إدراك الحقائق، ولا يعتمد على البراهين المنطقية والحجج العقلية والأدلة العلمية التي هي صفة هذا العصر.

ومنهج الأستاذ النورسي في طرائقه يقوم على:

1 . الإرادة والنية

الإرادة والنية هي مبتدأ كل طريق بحيث لا يصح للإنسان سير إلى الحقائق إلا بعد إحكام النية، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ النورسي:''إن النية إكسير عجيب تقلب بخاصيتها العادات الترابية والحركات الرملية إلى جوهر العبادة''(31). ويقول أيضا:''فالنية روح، وروحها الإخلاص، فلا خلاص إلا بالإخلاص، ويمكن بالنية...عمل كثير في زمان قليل''(32).

والأصل في تصحيح الإرادة وتعيين النية قوله تعالى:{ ذلك خير للذين يريدون وجهه وأولئك هم المفلحون}(33). وقوله صلى الله عليه وسلم:''إنما الأعمال بالنيات...''(34).

2 . القيام بحق البدن مع الروح

ربما يظن البعض أن طريق التصوف يستدعي إهمال البدن لأجل كسر النفس، وهذا مخالف لما عليه الأولياء والمرشدين قديما وحديثا.

يقول الأستاذ النورسي:''إني رأيت نفسي مغرورة بمحاسنها، فقلتُ: لا تملكين شيئا. فقالت:فإذا لا أهتم بما ليس لي من البدن، فقلتُ: لا بدّ أن لا تكوني أقل من الذباب، فإن شئت شاهدا فانظري إلى هذا الذباب كيف ينظف جناحيه برجليه ويمسح عينيه ورأسه بيديه، سبحان من ألهمه هذا وصيره أستاذا لي وأفحم به نفسي''(35). وهذا ما عليه سنة النبي صلى الله عليه وأصحابه عليهم الرضوان.

3 . استعمال العقل مع القلب

يقرر الأستاذ النورسي هذا بقوله:''لا يقنع ولا يكتفي بالحركة القلبية وحدها كأكثر أهل الطريقة...أراد أن يقتدي ببعض عظماء أهل الحقيقة المتوجهين إلى الحقيقة بالعقل والقلب''(36).

4 . الاتصال بالطرائق وشيوخها

اتصل الأستاذ النورسي من حيث الإسناد إلى الطريقة النقشبندية، وهي طريقة تربي أتباعها على الأخلاق والآداب، لكنّ انجذابه الروحي كان إلى أستاذ الطريقة القادرية الشيخ الكيلاني (ت 561هـ). ومردُّ ذلك الانجذاب إلى الأمور الآتية:

- **توجيه الشيخ الكيلاني إلى المعرفة والحقيقة، وهو ما يهواه النورسي.**
- **الانجذاب الروحي الخاص للنورسي نحو الشيخ الكيلاني.**

. شدّة الشيخ الكيلاني في الحق وعدم مبالاته بالخلق، وها ما يستهويه النورسي.

يقول الأستاذ النورسي مقررا هذا:''وعلى الرغم من أنني منتسب إلى الطريقة النقشبندية بثلاث جهات فإن محبة الطريقة القادرية ومشربها يجري فيَّ حُكْمُهُ دون اختيار منّي...''(37). كما كان الأستاذ النورسي لا ينسى أثر والدته نورية في تربيته، حيث كان يقول عنها:''أقسم بالله، إن أرسخ درس أخذته، وكأنه يتجدد عليّ، إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في جسدي، في غضون عمري الذي يناهز الثمانين''(38).

5 . قواعد الطريقة وأصولها

يوضح الأستاذ النورسي قواعد الطريقة وأصولها كما يلي:

أ . إتباع طريق القرآن الكريم بما ورد فيه، حيث كان مرشده وأستاذه، يقول مبيّنا ذلك:''ولله الحمد كان القرآن هو مرشدي وأستاذي في هذا الطريق''(39). ويقول في موضع آخر:''هذا الطريق على نهج القرآن''(40).

ب . إتباع السنة النبوية، حيث يعتبرها ألمع طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع الطرق. وإتباع السنة النبوية هي طريق الولاية الكبرى، وهو طريق ورثة النبوة من الصحابة والسلف الصالح. يقول الأستاذ النورسي مقررا هذا:''فلا بدّ أن سنة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وحركاته هي أفضل نموذج للإقتداء وأكمل مرشد للإتباع والسلوك وأحكم دستور، وأعظم قانون، يتّخذه المسلم أساسا في تنظيم حياته''(41).

ج . الإخلاص؛ إذ هو الطريق الوحيد للخلاص من الشرك الخفي.

د . المحبة، حيث تشكل أمضى قوة في تلك الطرق...والذين يتوجهون إلى معرفة الله تعالى عن طريق المحبة لا يصغون إلى الاعتراضات ويجاوزون سريعا العقبات والشبهات، وينقذون أنفسهم بسهولة، ويحصنونها من الظنون والأوهام، حتى لو اجتمع عليهم آلاف شياطين الأرض(42).

هـ . الدنيا هي دار العمل، وليست دار الجزاء...ويجب عدم مطالبة بثمرات الأعمال الأخروية وجزائها في هذه الدنيا، ولو أعطيت يجب أخذها وقبولها من يد الرب سبحانه بفرح مشوب بالحزن، وسرور ممزوج بالأسى، وليس بفرح وسرور خالصين...(43).

6 . أوصاف السالك في الطريق

يتكون الطريق النوري من أربع خطوات، وهي: طريق العجز، والفقر، والشفقة، والتفكر. وهذا الطريق قصيرا وآمنا للسلوك إلى الله تعالى، وهو طريق يختلف عن مسالك أهل التصوف، فهو كما يقول الأستاذ النورسي:''حقيقة شرعية أكثر مما هو طريقة صوفية''(44).

أ . وصف العجز: وهو طريق يوصل إلى الله تعالى، إذ هو يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية(45). ومستند ذلك هو القرآن الكريم، حيث يقول الله عز وجل:{فلا تزكوا أنفسكم}(46).

ب . وصف الفقر: وهو طريق يوصل إلى اسم الله ''الرحمن''(47). ومستند ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى:{ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم}(48). أي أنساهم واقع أنفسهم أنها فقيرة وعاجزة فتوهموا فيها الغنى والقدرة.

ج . وصف الشفقة: وهو طريق موصل إلى الله عز وجل إلا انه أنفذ منه في السير وأوسع منه مدى؛ إذ هو يوصل إلى اسم الله ''الرحيم''(49). وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:''ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء''(50). ومستنده من القرآن الكريم قوله تعالى:{ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك}(51).

د . وصف التفكر: وهو طريق يوصل السالك إلى اسم الله '' الحكيم''(52). ومستنده من القرآن الكريم قوله تعالى:{كل شيء هالك إلا وجهه}(53). أي أن تزكية النفس في معرفة أن عدمها في وجودها ووجودها في عدمها. ويقول الله تعالى أيضا:{الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا}(54).

وينبه الأستاذ النورسي أن المقصود بالعجز والفقر والتقصير، إنما هو إظهار ذلك كله أمام الله تعالى، وليس أمام الناس.

7 . أوراد الطريقة وأذكارها

أوراد هذا الطريق القصير وأذكاره محصورة في إتباع السنة النبوية والعمل بالفرائض، لا سيّما إقامة الصلاة باعتدال الأركان، والعمل بالأذكار عقبها، وترك الكبار(55). يقول الأستاذ النورسي:''أهل الطريقة وأصحاب الحقيقة كلما تقدموا في مسلكهم وارتقوا في معارجهم وجدوا أنفسهم منجذبين أكثر إلى الحقائق الشرعية''(56).

8 . أفعال الطريقة

آكد أفعال الطريقة هو مجاهدة النفس، لقوله تعالى:{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}(57).

قال الأستاذ النورسي واصفا سيره في مجاهدة نفسه:''واضطرته نفسه الأمارة بشكوكها وشبهاتها إلى المجاهدة المعنوية والعلمية''(58).

الخاتمة:

يستشف مما سبق بيانه أن الأستاذ النورسي صاحب منهج واضح في الطريقة والحقيقة، يمتاز بالسير في رحاب القرآن الكريم والسنة النبوية، فهي أسسه التي استمد منها منهجه الصوفي. فهو يرى أن منتهى التصوف لا يقوم إلا بالاعتقاد الصحيح بالحقائق الإيمانية والعمل التام بالفرائض.

الهوامش:

(1) ينظر: لمحات من حياة وآثار بديع الزمان النورسي:2-9.

(2) ربطت مؤسس الدولة (عثمان بن أرطغرل:656-727هـ) علاقة قوية بالشيخ الصوفي''أدبالي'' وقد تعززت هذه العلاقة بزواج عثمان من بنت الشيخ الذي أسند له وظيفة القضاء والإفتاء في بداية عهد الدولة. ينظر:تاريخ سلاطين آل عثمان للقرماني:11.

(3) ينظر:المكتوبات للنورسي:79.

(4) ينظر:الملاحق للنورسي:263.

(5) استخدم النورسي كثيرا من الرموز المشهورة في التراث الصوفي مثل: الشمس، العندليب، الوردة.... يرجع إلى رسائله.

(6) ينظر:الملاحق للنورسي:133.

(7) ينظر:المثنوي العربي النوري:30.

(8) ينظر: المرجع نفسه:31.

(9) ينظر: المرجع نفسه:271.

(10) ينظر: صيقل الإسلام:8/122-124.

(11) ينظر:المثنوي العربي النوري:30.

(12) ينظر: المرجع نفسه:104.

(13) ينظر: المرجع نفسه:34.

(14) ينظر: المرجع نفسه:398.

(15) ينظر: المرجع نفسه:40.

(16) ينظر: المكتوبات:580.

(17) ينظر:المثنوي العربي النوري:432-433.

(18)، (19) ينظر: المرجع نفسه:35.

(20) ينظر: المرجع نفسه:32.

(21) ينظر:المرجع نفسه:55.

(22) ينظر: المرجع نفسه:38.

(23) ينظر: المرجع نفسه:58.

(24) ينظر: المرجع نفسه:56.

(25) ينظر: المرجع نفسه:63.

(26) ينظر: المرجع نفسه:40.

(27) ينظر: المرجع نفسه:392.

(28) ينظر: المرجع نفسه:66.

(29) ينظر: المرجع نفسه:170.

(30) ينظر: المكتوبات:571.

(31)، (32) ينظر: المثنوي العربي النوري:159.

(33) الآية 38 من سورة الروم.

(34) أخرجه مسلم وغيره.

(35) ينظر: المثنوي العربي النوري:168.

(36) ينظر: المرجع نفسه:29.

(37) ينظر: السيرة الذاتية لإحسان قاسم.

(38) ينظر: المرجع نفسه.

(39) ينظر: المثنوي العربي النوري:206.

(40) ينظر: الكلمات:561.

(41) ينظر: اللمعات:95.

(42) ينظر: المكتوبات:581.

(43) ينظر: المرجع نفسه:582.

(44)،(45) ينظر: المرجع نفسه:594.

(46) الآية32 من سورة النجم.

(47) ينظر: المكتوبات:594.

(48) الآية 19 من سورة الحشر.

(49) ينظر: المكتوبات:594.

(50) أخرجه أحمد في مسنده وغيره من حديث ابن عمر.

(51) الآية 79 من سورة النساء.

(52) ينظر: المكتوبات:594.

(53) الآية 88 من سورة القصص.

(54) الآية191 من سورة آل عمران.

(55) ينظر: المكتوبات:594.

(56) ينظر: المكتوبات:584.

(57) الآية 69 من سورة العنكبوت.

(58) ينظر:المثنوي العربي النوري:30.